

- عناصر لغوية: أو ما يطلق عليه «السياق»، وهو المجال الذي يرد فيه اللفظ. وأنت تلاحظ أن دلالة اللفظ الواحد تتغير من سياق إلى سياق آخر وفق العلاقات التي يدخل فيها فيؤثر في ما اتصل به ويتأثر به في جدلية متواصلة لعل أهمها يجري في الخطاب الأدبي القائم على التجوز.

- عناصر غير لغوية: وأشكال وجودها متعددة إذ تتوفر أعيانها - أشخاصاً كانت أو جماداً - في المحيط بصفة مباشرة آنية أو غير مباشرة كالعناصر التي تحفظها الذاكرة المشتركة بين طرفي التواصل.

وهذه العناصر تربط الكلام بموضوعه في مستواه الأدنى فخذ مثلاً أسماء الإشارة والضمائر والموصولات تجدها «مبهمة» غير مفهومة ما لم ترتبط بمرجعها من خلال المقام وبها يتحقق الكلام فيه. فضمير المتكلم المفرد يحيل على صاحبه الموجود عياناً في المقام خارج اللغة فيربط كلامه به وكذا ضمير المخاطب، واسم الإشارة بأنواعه المختلفة. وإذا ما تجوزت في كلامك وأطلقت كلمة «الشمس» على فتاة جميلة فقلت:

- ها قد أطلت الشمس.

مكنت عناصر المقام غير اللغوية - وجود الفتاة في مجال الإدراك مثلاً - سامعك من أن يفهم أن المراد بالشمس فتاة وليس الشمس الحقيقية. وهذا يمثل دليلاً أو «قرينة» قادتته إلى المعنى المقصود في الكلام.

فالملكة اللغوية تقوم على الربط المستقيم بين وجهي العلامة اللغوية: الدال والمدلول، ويكون ذلك الربط وفق ما تقتضيه قواعد تلك اللغة المتصلة بالمعجم والتركيب والصرف والأصوات. وهذا يمثل أدنى العناصر الضرورية المستقرة التي يقوم عليها الفهم والإفهام. لكن ذلك الربط يخضع لعدة عوامل متغيرة حسب المستعملين والعصور والغايات يمكن أن تُجمع في «ملاسات المقام». فيتسع مدلول اللفظ وتوسع لذلك مجالات استعماله ونسبة تواتره، وتتراكم تلك المدلولات خلال العصور وتضاف إلى القاموس فيزداد ثراء، في حين تندثر مدلولات أخرى لحلول مدلولات جديدة مكانها. ولذلك تجد في القواميس ثبناً لمعاني اللفظ ما كان لغوياً منها وما كان اصطلاحياً حسب العصور ومجالات الاستعمال كالعلوم والفلسفة وغيرها.

فخذ مثلاً لفظ «عين» في العربية تجد أنه يدل على مدلولات عديدة ولذلك صنف ضمن «المشترك». فهو يدل على الجارحة المبصرة، وهو يدل على فؤارة الماء، ويدل على الشخص الجاسوس، وجرى استعماله في مجال المعاملات المالية في القديم فأطلق